اللّجنة المشتركة للحوار اللّاهوتيّ

بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة

إعلان مشترك عن «حياة الأسرار»

٢٤ تشرين الثّاني ٢٠١٧

إعلان مشترك عن «حياة الأسرار»

في ١١ تشرين الثّاني ١٩٩٤، وقّع قداسة البابا يوحنّا بولس الثّاني وقداسة مار دينخا الرّابع كاثوليكوس وبطريرك كنيسة المشرق الأشوريّة على إعلانٍ مسيحانيّ مشترك. أفضت الوثيقة التّاريخيّة إلى هذه النّتيجة، واختُتمت بالتّالي المرحلة الأولى من الحوارات غير الرّسميّة (١٩٨٤-١٩٩٤) بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنائس المشرق الأشوريّة. «مهما كانت اختلافاتنا المسيحانيّة، يُمكننا اليوم أن نعتبر أنفسنا مُتّحِدين في الاعتراف بالإيمان عينه بابن الله الذي صار إنسانًا كي يُصبح النّاس أولاد الله بنعمته». بهذه الكلمات، انتهى الجدال العقائديّ القديم المُتعلِّق بالتّداعيات المسيحانيّة وبنتائج مَجمع أفسُس، وفُتِحت آفاقٌ جديدة للحوار اللّاهوتيّ والتّعاون الرّاعويّ.

وفي السّياق عينه، يُتابع الإعلان المسيحانيّ: «بما أنّنا نعيش من هذا الإيمان ومن هذه الأسرار، ينجم عن ذلك أنّه بإمكان الكنائس الكاثوليكيّة الخاصّة وكنائس المشرق الأشوريّة الخاصّة أن تعترف بعضها ببعض ككنائس شقيقة». وتقتضي الشّركة، كي تكون تامّة وكاملة، الإجماع على مضمون الإيمان والأسرار ودستور الكنيسة. وبما أنّنا لم نتوصّل إلى هذا الإجماع حتّى الآن الذي ينبغي لنا أن نقترب منه أكثر فأكثر، فإنّنا، آسفين، لا نستطيع أن نحتفل معًا بالإفخارستيّا، الّتي هي هذه العلامة للشّركة الكنسيّة الّتي أُعيدَ إحياؤها بالكامل». لذا، وَضَعت اللّجنة المشتركة من أجل الحوار اللّاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة برنامجًا لمرحلتَيْن إضافيَّتَيْن لنشاطهما: إحداهما عن لاهوت الأسرار والأخرى عن دستور الكنيسة. امتدّت المرحلة الّتي تتناول لاهوت الأسرار من سنة ١٩٩٤ إلى

سنة ٢٠٠٤، واختُتمت بالوثيقة الحاليّة. ستركّز المرحلة الثّالثة من الحوار، الّتي ستبدأ بعد هذا «الإعلان المشترك»، على دستور الكنيسة. لذا، فإنّ الرّجاء الصّادق للّجنة المشتركة هو تسريع اليوم الذي ستتمكّن فيه الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة من الاحتفال بالإفخارستيّا معًا، كعلامة للاستعادة الكاملة للشّركة الكنسيّة.

يُعالج هذا الإعلان، الذي أعدَّتْه اللّجنة المشتركة للحوار اللّاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة، حياة الأسرار. وبما أنّ الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة تميّزان الأسرار وتعدّانها بطرق مختلفة، فقد نُظِّمت هذه الوثيقة وفقًا لتصنيفٍ ينطبق على تقليدَيْهما. تُصنَّف جميع الطّقوس اللّيترجيّة الّتي تعتبر احتفالات الأسرار في التّقليدَيْن أو في واحد منهما في خمسة أقسام فرعيّة: أ) الرّتب الكهنوتيّة المقدّسة وإشارة الصّليب؛ ب) المعموديّة المقدّسة والميرون؛ ت) القربان المقدّس أو الإفخارستيّا المقدّسة، الخميرة المقدّسة وتكريس المذبح؛ ث) الحياة المسيحيّة (الزّواج المسيحيّ، الحياة الرّهبانيّة)؛ ج) المصالحة، مسحة المرضى والجنازات. الغرض الرّئيسيّ من هذا التّصنيف هو توضيح أنّ هذَيْن التّقليدَيْن في الأسرار هما واحد في تنوّعهما. وعلى الرّغم من أنّ هاتَيْن الكنيستَيْن اعتمدتا أنماطًا وطقوسًا مختلفة، إلّا أنّهما تتّفقان على الاحتفال بسرّ الخلاص الفريد نفسه.

١. لاهوت الأسرار

حياة الأسرار هي اشتراك في سرّ عمل الله الخلاصيّ بيسوع المسيح وقدرة الرّوح القدس. يُضحي هذا السّرّ حاضرًا في ليترجيّا الكنيسة الّتي تُدعى، في التّقليد السّريانيّ

احتفالًا (*Razeh*)، وأسرارًا (*mysteries*) في التّقليد اليونانيّ، أو (*sacraments*) في التّقليد اللّاتينيّ. فمن خلال الاحتفال بهذه الأسرار، الّتي تستجيب بامتنان لمبادرة الله، تُقدّم الكنيسة للمؤمنين الفرصة للاشتراك في حياة الله كي يكونوا انعكاسًا حسّيًّا على هذه الهبة في حياتهم اليوميّة، عبْر شركتهم مع الله وبينهم.

تَنقُل الأسرار، بوصفها علامات فعّالة، الحقيقة الإلهيّة الّتي تُمثّلها. وتشترك الكنيسة فعلًا، عبْر الاحتفال بالأسرار، في ثمار سرّ المسيح الفصحيّ ومواهب الرّوح القدس. ليست احتفالات الأسرار مُجرَّد ذكرى بسيطة أو صورة لهذه الحقيقة الإلهيّة، بل هي تجعل النّعمة الّتي تُعبّر عنها حاضرة وفعّالة. وتُدخل الاحتفالات بالأسرار المؤمنين في عمل الله الخلاصيّ من خلال الكنيسة وفي الكنيسة. الأسرار المقدّسة، بالنّسبة إلى المؤمنين، هي وسائل خلاص عاديّة.

إنّ الرّوح القدس هو الحافز الرّئيسيّ لهذه الفعاليّة الحقيقيّة. فهو يعمل من خلال كلّ أقوال الجماعة المجتمعة وأفعالها. كما يُشرك الخدّامَ المرسومين في قدرته التّحويليّة لتكملة رسالتهم. يُقدّس الرّوح القدس العنصر المادِّيّ لكلّ سرّ (الخبز، الخمر، الماء، الزّيت، وضع الأيدي...) ويعمل من خلالها، ويُوحّد الجماعة كلّها في حياة المسيح ورسالته. ومن ثمّ، إنّ استدعاء الرّوح القدس هو عنصر أساسيّ لكلّ احتفال بالأسرار.

يُحتفل بالأسرار المقدّسة في الرّجاء الفَرِح بمجيء ملكوت الله. يُحتفل بها «إلى أن يأتي المسيح» (١ قور ١١، ٢٦)، «ليكون الله كلّ شيء في كلّ شيء» (١ قور ١٥، ٢٨)[١]. ومن ثمّ، يُحتفى بإقامة الأسرار في تَوتُّر إسكاتولوجيّ بين ما هو «مُعطى الآن» من ملكوت الله وما هو «غير مُكتمِل بَعد». تُمكّننا الأسرار من

[١] تستند اقتباسات الكتاب المقدّس الواردة في هذه الوثيقة إلى ترجمة النّسخة اليسوعيّة.

الاشتراك بفعاليّة، في المكان والزّمان، في الحقيقة النّهائيّة لملكوت الله، إذ هو ملكوت ما بَرِحَ في حالة انتظار إلى حين تحقيقه. وتُدخل الأسرارُ الكنيسة في حياة تتوق إلى تحقيقها: الاشتراك الكامل في سرّ موت يسوع المسيح وقيامته (راجِعْ: يو ٣، ٣-٥؛ رو ٦، ٣-٤٩).

ذلك أنّ الاحتفالات بالأسرار في الكنيسة لم تُثبَّت بطريقة اعتباطيّة. إنّها تَنبَعُ من حياة يسوع المسيح ومن نشاط الرّسل التّأسيسيّ بالرّوح القدس. كما أنّها ترتبط أيضًا، بطريقة حاسمة، بالمراحل أو المحطّات الأساسيّة في الحياة الإنسانيّة والمسيحيّة. هذا الأصل وهذا الهدف من احتفالات الأسرار يجعلان منها واحدة من أكثر أعمال الكنيسة قداسة وأهمِّيَّة. ولكن، فيما يتعلّق بأصلها ووضعها وضرورتها، يُمكن القيام ببعض التّمايزات التّاريخيّة واللّاهوتيّة بين احتفالات الأسرار. كما يُمكن التّعبير عن هذا الاختلاف الدّاخليّ بين الأسرار بطرُق مختلفة[٢].

تملك حياة الأسرار في التّقاليد اللّيترجيّة الشّرقيّة والغربيّة، على الرّغم من تطابقها في جوهرها، خصائص وسمات متميّزة. هذه التّقاليد المختلفة هي نتيجة الحركات التّبشيريّة والتّطوّرات الكنسيّة والسّياقات الثّقافيّة المتنوّعة، وهي تعبير عنها. وبما أنّه السرّ نفسه الذي يُحتفَل به في هذه التّقاليد الخاصّة، فمن المُمكِن أن نَعتبر خصائصها وفرادتها المختلفة عنصرًا رائعًا للتَّكامل في إطار كنيسة المسيح. كَتَبَ القدّيس بولس إلى طيموتاوس: «اِحفَظ الوديعة الكريمة بالرّوح القدس الذي يُقيم فينا» (٢ طيمو ١، ١٤). تعرض الفصول التّالية وتشرح هذه «الوحدة في التّنوُّع» الّتي تُميّز تقاليد الأسرار في الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة.

---

[٢] على مرّ القرون، مَيّزَ التّقليد الكاثوليكيّ الأسرار الضّروريّة للخلاص والكمال أو لإعداد المؤمنين، من الأسرار الكبرى والثّانويّة. وبالطّريقة عينها، سعى مؤلّفون مُختلِفون من كنيسة المشرق إلى وَضْعِ لائحة واضحة للأسرار، عكست اعتبارات لاهوتيّة مشابهة.

بقوّة الرّوح القدس، اعترفت الكنيسة تدريجيًّا بالكنز الذي تسلّمَتْه من المسيح، باعتبارها وكيلة أمينة لأسرار الله، وأرسَت كيفيّة «توزيعه». ففي الكنيسة الكاثوليكيّة، قاد هذا الاعتراف التّدريجيّ السُّلطة إلى التّمييز بين الاحتفالات اللّيترجيّة السّبعة على أنّها، في المعنى الدّقيق للكلمة، أسرار مقدّسة قد أنشأها الرَّبّ[٣]. أمّا في كنيسة المشرق الأشوريّة، فلم يتمّ تحديد أيّ تمييز سلطويّ من هذا القبيل. ولكن على مرّ الزّمن، تطرّق بعض المؤلّفين، من أصحاب المرجعيّة آنذاك، بشكل مختلف إلى الأسرار المقدّسة (*Razeh*)، كما كان يُحتفَل بها في كنيسة المشرق الأشوريّة. هذه المقاربات تختلف قليلًا بعضها عن بعض. فقد ألّف المتروبوليت مار عبديشو الذي من نصيبين (١٣١٨) والبطريرك مار تيموثاوس الثّاني (١٣١٨–١٣٣٢)[٤] مقالتَيْن تضمّان لائحة من سبعة أسرار. ومراعاةً لتقاليد الأسرار في الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة، ستتناول الفصول التّالية جميع الاحتفالات اللّيترجيّة فحسب، تلك الّتي تُعتبَر أسرارًا (*Razeh*)، أقلّه في أحد التّقليدَيْن أو في كلا التّقليدَيْن.

---

[٣] صدر هذا التّمييز رسميًّا، للمرّة الأولى، إبّان مَجمع ليون الثّاني (١٢٧٤)، وثُبِتَ القرار في مَجمع فلورنسا (١٤٣٩)، وفي المَجمع التّريدنتينيّ (١٥٤٧).

[٤] قدّم البطريرك مار تيموثاوس الثّاني في مقالته «الأسباب السّبعة لأسرار الكنيسة» اللّائحة الآتية: الكهنوت، المعموديّة، تكريس المذابح، القربان المقدّس، تكريس الحياة الرّهبانيّة، الجنازة، الزّواج. ومن ناحية أخرى، يعرض المتروبوليت مار عبديشو في مقدّمة رسالته، لائحة الأسرار «رازيه» الآتية: الكهنوت، المعموديّة، الميرون المقدّس، القربان المقدّس، الحَلّة، الخمير المقدّس، إشارة الصّليب. وفقًا للتّراث التّاريخيّ، تجدر الإشارة إلى أنّه في الرّسالة عينها حول «الرّازيه»، يختار مار عبديشو فصل الزّواج والعُذْريّة بدلًا من فصل إشارة الصّليب، ومن ثمّ يتطرّق إلى موضوع إشارة الصّليب في القسم التّالي المُخصَّص لأعمال العبادة. وبداعي الظّروف، باتت لائحة مار عبديشو أكثر بساطة. ومن ثمّ، اعترفت بها كنيسة المشرق الأشوريّة وتبنّتها. في الواقع، وفي ولاية بطريركيّة مار دينخا، أعلن سينودس كنيسة المشرق الأشوريّة المقدّس سنة ٢٠٠١ لائحة «رازيه» ولائحة عبديشو على أنّهما اللّائحتان الرّسميّتان لكنيسة المشرق الأشوريّة.

يُمارِس التّقليدان اللّيترجيّان في الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الآشوريّة عددًا من العلامات أو الطّقوس اللّيترجيّة الّتي تُشبه الأسرار، على الرّغم من أنّ أيًّا من الكنيستَيْن لا يعتبرها «أسرارًا» أو «رازيه» في المعنى الدّقيق للكلمة. هذه العلامات في الكنيسة الكاثوليكيّة تدعى إجمالًا «شبه أسرار»، وهي تدلّ على المفاعيل، وبخاصّة ذات الطّبيعة الرّوحيّة، الّتي يُحصَل عليها بشفاعة الكنيسة. وتشمل دومًا صلاةً، غالبًا ما تكون مُرفَقة بعلامة مُحدَّدة: كوضع اليدَيْن أو رَسْم إشارة الصّليب أو رشّ الماء المقدّس. بعضُ هذه الطّقوس هي بركات ظرفيّة للأشخاص والطّعام والأغراض أو الأمكنة. وهناك بركات أخرى لها أهميّة طويلة الأمد، لأنّها تُكرّس أشخاصًا لله أو تحتفظ بأغراض وأمكنة للاستخدام اللّيترجيّ. وبفضل هذه العلامات الطّقسيّة أو اللّيترجيّة، يستعدّ المسيحيّون لتلقّي التّأثير الرّئيسيّ للأسرار، فتُضحي المناسبات المختلفة في حياتهم مناسبات مقدّسة. لن تتطرّق الفصول اللّاحقة إلى شبه الأسرار، ذلك أنّ جميع الاحتفالات اللّيترجيّة المذكورة لاحقًا تنتمي، وفقًا للتقليد الكاثوليكيّ والتّقليد السّريانيّ، إلى مجال «الأسرار» أو «الرّازيه».

٢. الرّتب المقدّسة

دعا يسوع المسيح بنفسه الرّسل الاثنَي عشر وأهّلَهم وأسّسهم، فأضحوا رفقاءه منذ البداية، إذ دعوا إلى مساعدته على إعلان البشرى الجديدة بالأقوال والأفعال (راجِعْ: مرقس ٣: ١٣-١٩). وبعد القيامة، كلّف الرّب تلاميذه مواصلةَ عملِه حتّى نهاية الأزمنة (راجِعْ: مر ١٦: ١٥-١٦؛ متّى ٢٨: ١٨-٢٠؛ لو ٢٤، ٤٧؛ يو ٢٠: ٢١ -٢٣؛ أع ١، ٨). وبدورهم، نَقَلَ الرّسلُ الاثنَي عشر سلطتهم الرّسوليّة

إلى خلفائهم، من خلال عمل الرّوح القدس. «فَصلّوا ووضعوا الأيدي عليهم» (أع ٦، ٦؛ ٣، ٣؛ ٢ طي ١، ٦). استمرّت الكنيسة في هذا التّقليد الرّسوليّ. وبفِعل صلاة التّكريس الخاصّ ووضع الأيدي، تُؤهّلُ خدّامَها لتحقيق مهمّتهم الرّسوليّة. تؤمن الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة بأنّ الرّسامة موهبةٌ روحيّة تُمنح للرّجال الّذين تختارهم الكنيسة للاحتفال بالأسرار (*Razeh d-Edta*) في خدمة بنيان المؤمنين وجسد المسيح، ولكن ليس خارج الكنيسة على الإطلاق. لا يجوز تكرار الرّتب المقدّسة.

إنّ ضرورة انتماء جميع خدّام الكنيسة المرسومين إلى الخلافة الرّسوليّة، بفِعْلِ رسامتهم السّرّيَّة، إنّما تُعبّر عن الاستمراريّة وتضمنها بين المرجعيّة الرّسوليّة للكنيسة والصّفة الحاليّة لخدّامها. وبما أنّهم ارتسموا في سياق الخلافة الرّسوليّة، يشترك جميع خدّام الكنيسة في عيد العنصرة: ينزل الرّوح القدس على الرّسل وخلفائهم بعد قيامة المسيح، كي يتمكّنوا من القيام برسالتهم في كلّ مكان في العالم حتّى نهاية الأزمنة.

يُمارَسُ سرّ الكهنوت في ثلاث رُتبٍ مختلفة: الأسقفيّة والكهنوتيّة والشّمّاسيّة. وترتبط الرّتب الثّلاث بسرّ الكهنوت، تمامًا كما يُعبَّر عنها في الطّقوس اللّيترجيّة والتّعاليم اللّاهوتيّة والممارسة المستمرّة في الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة. ومع أنّ كلّ رُتبة من هذه الرّتب مرتبطة بطريقة خاصّة بسُلطة المسيح الواحدة، إلّا أنّ الرّتب الثّلاث تُمنح وفقًا لطقس السّرّ الخاصّ «بالرّسامة». وبما أنّ الأسقف يتمتّع بملء الكهنوت، فإنّ بإمكانه أن يمنح الرّسامة الكهنوتيّة والشّمّاسيّة إلى آخرين. يقوم الطّقس الرّئيسيّ لسرّ الكهنوت في درجاته الثّلاث على وضع يدَي الأسقف على رأس المُرتسِم وعلى الصّلاة التّكريسيّة الخاصّة بالأسقف الذي يطلب من الله حلول الرّوح القدس ومواهبه الخاصّة على الخدمة الّتي رُسِم المرشَّح من أجلها.

تُمْنَحُ الأسرار كلّها عادة عن طريق خادم مُرتسِم، وفقًا لدرجة الاشتراك في خدمة المسيح[٥]. ومع أنّ التّشابُه جوهريّ في الأسرار، إلّا أنّ هناك فوارق في الممارسة بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة في بعض منها، أقلّه في بعض المناسبات. وسوف يُشار إلى هذه الفوارق فيما يلي، أي إلى كلّ سرّ من هذه الأسرار في سياقه الخاصّ.

يجب تحديد خدمة الأسرار في سياق الجماعة المسيحيّة، على أنّها خدمة لكهنوت المُعمَّدين المشترك. ذلك أنّ جماعة المؤمنين، بطريقة خاصّة، هي جماعة كهنوتيّة. المسيح، رئيس الكهنة والوسيط الوحيد، جعل من الكنيسة «مملكة من الكهنة لإلهه وأبيه» (رؤيا ١، ٦؛ ٥: ٩-١٠؛ ١ بط ٢: ٥-٩). ويُمارس العلمانيّون كهنوت العماد من خلال اشتراكهم، كلّ واحد بحسب موهبته أو دعوته، في رسالة المسيح الكاهن والنّبيّ والملك. ويشاركون، بمعموديّتهم ومسحتهم مشاركة كاملة في رسالة الكنيسة، وبخاصّة في رسالتها في العالم. يُربّي الأهل المسيحيّون، بوصفهم أرباب الأسرة، أبناءهم في الإيمان، ويعطونهم نموذج الفضائل المسيحيّة وَ«يُقرّبون أشخاصهم ذبيحة حيّة، مُقدّسة مَرضيَّة لله» (رو ١٢، ١)؛ هذه هي عبادتهم الرّوحيّة. وللمسيحيّين العلمانيّين أيضًا الحقّ والواجب، بشكل فرديّ أو جماعيّ، أن يعملوا على نَشْرِ رسالة الخلاص الإلهيّة وأن تُعرَف كي تَصِلَ إلى الجميع في أنحاء العالم. ومن الممكن أيضًا قبول بعض المسيحيّين العلمانيّين بشكل موقّت أو دائم في أنماط مختلفة من الخدمة غير الكهنوتيّة[٦].

---

[٥] عادةً ما يَمنَحُ جميعَ الأسرار، في الكنيسة الكاثوليكيّة كما في كنيسة الشّرق الأشوريّة، خادمٌ مرسوم. وفي شأن سرّ الزّواج، هناك تقليدان مختلفان ضمن الكنيسة الكاثوليكيّة (أُنظُرْ أدناه).

[٦] في كنيسة المشرق الأشوريّة، تُمنح الرّتب أو الخدمات الصّغرى كالقارئ والشّمّاس الرّسائليّ في أثناء احتفال طقسيّ مُعيّن، ويتمّ الحصول عليها وفقًا لطقوس تشتمل على مباركة طقسيّة فحسب. هناك خدمات مماثلة في

إشارة الصّليب

الصّيغة الثّالوثيّة المُعبَّر عنها في إشارة «الصّليب» هي عنصر أساسيّ في احتفالات الأسرار كلّها. فالأسرار كلّها تُمنح باسم الآب والابن والرّوح القدس، إذ يَرسم الكاهن «إشارة الصّليب» عدّة مرّات في أثناء ممارسة الأسرار الّتي تفوق الإدراك أو الاحتفالات بالأسرار. لذلك، يُعبّر الكاهن عن هذه الاحتفالات الّتي تجري باسم الآب والابن والرّوح القدس. وفي الوقت عينه، يمنح الجماعة المُجتمِعة والمؤمنين، بطريقة أفضل، المواهب الإلهيّة كلّها الّتي تنبع من الصّليب وتنحدر عليهم (راجِعْ: قولسّي ١، ٢٠). ومن احتفال إلى آخر، يتلقّى المسيحيّون مزيدًا من هبات الخلاص، الّتي قدّمها يسوع المسيح في تضحية حياته. تُفسّر القناعة الأساسيّة بأنّ كلّ احتفال بالأسرار يرتبط بموت يسوع المسيح وقيامته الخلاصيَّيْن، وتفسّر سبب تصنيف بعض مؤلِّفي كنيسة المشرق الأشوريّة «إشارة الصّليب» بين أسرار «الرّازيه» أو «الأسرار الفائقة الإدراك المقدّسة».

إشارة الصّليب رمزٌ جليٌّ للوحدة بين كلّ الاحتفالات بالأسرار. بالنّسبة إلى كنيسة المشرق الأشوريّة، يستخدم الكاهن إشارة الصّليب في جميع الأسرار (رازيه) لأنّها جزء من عمليّة تكريس كلّ سرّ من الأسرار الّتي يُختم بها. فهي جميعها وسائل

الكنيسة الكاثوليكيّة: «للاضطلاع بوظائف كهنوت المؤمنين، هناك خدمٌ خاصّة أخرى، غير مُكرَّسة بسرّ الكهنوت، يُحدّد الأساقفة مهامّها وفقًا للتّقاليد اللّيترجيّة والحاجات الرّعائيّة. حتّى الخدّام والقرّاء والشّرّاح والمُنضَوون إلى جماعة المُرتّلين، جميعهم يقومون بخدمة ليترجيّة حقيقيّة».

راجِعْ: **التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة**، جونية، المكتبة البولسيّة، ١٩٩٩، رقم ١١٤٣.

تُشرك بها الكنيسة أعضاءها بموت يسوع المسيح وقيامته (رو ٦: ٦-١١) وبالشّركة الأبديّة مع الآب والابن والرّوح القدس.

٣. المعموديّة والميرون

قبل صعود الرّبّ إلى السّماء (متّى ٢٨: ١٦-٢٠)، قال القدّيس بطرس يوم العنصرة، متّبعًا بأمانة وصيّته: «توبوا، وليَعتمِدْ كلٌّ منكم باسم يسوع المسيح، لغُفران خطاياكم، فتنالوا موهِبةَ الرّوحِ القدس» (أع ٢، ٣٨). على هذا النّحو، احتفلت الكنيسة بسرّ المعموديّة المقدّسة ومنحته، منذ بداية وجودها.

بواسطة معموديّتهم، ينتقل المسيحيّون من ظلمة الجهْل والخطيئة إلى نور المعرفة والقداسة (راجِعْ: ١ تس ٥، ٥؛ أفسُس ٥، ٦). المعموديّة هي ولادتهم الثّانية؛ فإذا كانوا قد نالوا من ولادتهم الأولى عطيّة الحياة الإنسانيّة، فقد نالوا بولادتهم الثّانية بالماء والرّوح القدس موهبة الحياة والخلاص من الله. وتُعَدّ المعموديّة من بين الوسائل العاديّة للخلاص، كما أكّد ذلك الرّبّ نفسه (راجِعْ: يو ٣، ٥).

وفقًا للكتاب المقدّس، للمعموديّة مفاعيل متعدّدة. إنّها تُنقّي المُعمَّدين الجدُد من الخطيئة (راجِعْ: أع ٢، ٣٨)، وتجعل منهم «أبناء الله بالتّبنّي» (غلا ٤، ٥-٧)، وتضمّهم إلى جسد المسيح الذي هو الكنيسة (راجِعْ: رو ٨، ١٧؛ ١ قور ٦، ١٩)، وتُشركهم، بطريقة خاصّة، في كهنوت المسيح ورسالته النّبويّة والملكيّة (راجِعْ: ١ بط ٢، ٩)، وتؤهّلهم وتقودهم إلى حياة الذبيحة والقداسة والنّعيم (راجِعْ: ١ قو ١٦: ١٣-١٦؛ ٢ قو ٥، ١٥)، وتُشركُهم في موت المسيح وقيامته (راجِعْ: رو ٦: ٣-١١) وفي طبيعة الله الإلهيّة (راجِعْ: ٢ بط ١، ٤).

ووفقًا للكنيسة الأولى، عندما كانت الأُسَر بأكملها تنال المعموديّة[٧]، كان التّقليد الكاثوليكيّ والتّقليد الأشوريّ يُمارسان معموديّة الرّاشدين ومعموديّة الأطفال. وكان الأطفال يعتمدون ليدخلوا ملكوت حرّيَّة أبناء الله، إذ تحرّروا من عبوديّة الخطيئة. في الواقع، كلّ إنسان محكوم بالخطيئة أو يقع تحت تأثيرها (راجِعْ: يو ١، ٢٩؛ رو ٥: ١٢-١٣)، على حدّ قول مار تيموثاوس الثّاني: «الشّخص الذي يولَد من عبدٍ يبقى عبدًا إلى أن يتحرّرَ من عبوديّته»[٨]. وعلاوةً على ذلك، تُبيّن معموديّة الأطفال، بطريقة رائعة، أنّ المؤمنين ينالون حياة جديدة في المسيح وهديّة مجّانيّة للخلاص.

وبما أنّ التّنشئة المسيحيّة اندماجٌ في المسيح وتقبُّلٌ للرّوح القدس، تكتمل معموديّة الماء بوضع الأيدي والمسْح بالميرون المقدّس[٩]. تَمنَحُ اللّيترجيّا اللّاتينيّة مسحةً أولى بعد المعموديّة وتُعلن عن مسحة ثانية لاحقة مع الميرون المقدّس، تُسمّى التّثبيت. وتَمنَحُ كنيسة المشرق الأشوريّة، مُنسجِمة مع الممارسة الشّرقيّة، علامةً نهائيّة بالميرون المقدّس، مباشرةً بعد طقس المعموديّة. وتعتبر أنّ هذه العلامة النّهائيّة تُكمّل بوضوح طقس المعموديّة من أجل حلول الرّوح القدس وتحسين الحياة المسيحيّة. وتدُلّ هذه

---

[٧] راجِعْ: أعمال الرّسل، ١٦: ١٥-٣٣؛ ١٨، ٨: ١ قور ١، ١٦.

[٨] أُنظُر:

Mar Timothy II, *Book on the Seven Causes of the Church Razeh*, III, 20, *The meaning of infant baptism.*

[٩] في التّقليد اللّاتينيّ، يعود تكريس الميرون المقدّس إلى الأسقف دون سواه. وفي بعض التّقاليد الشّرقيّة، يُعود التّكريس إلى البطريرك دون سواه. في كنيسة المشرق الأشوريّة، يُكرّس الكاهن الزّيت الجديد لمسحة المعموديّة في أثناء ليترجيّا المعموديّة، ويرسم عليه إشارة الصّليب بالزّيت المقدّس القديم (يُسمّى أيضًا «زيت القرن»)، ويُصلّي من أجل مجيء الرّوح القدس.

العلامة على ما تعنيه اللّيتورجيّا اللّاتينيّة من خلال تباعُد السّرّ الذي يحصل عادةً بعد التّثبيت[١٠].

إنّ طقس التّنشئة في الحياة المسيحيّة هو مسيرة تستلزم عدّة مراحل أو محطّات مميّزة، ألا وهي فترة الموعوظين والاعتراف بالإيمان والمعموديّة بالماء والمسح بالميرون المقدّس والاندماج في جماعة الإفخارستيّا. وبالرّغم من أنّ هذه العناصر الأساسيّة هي نفسها في تقاليد الأسرار في الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة، فقد تطوّرت ممارسات وترانيم ليترجيّة مختلفة. ففي شأن معموديّة البالغين، يَمنَحُ التّقليدان المعموديّة والميرون والإفخارستيّا المقدّسة عادةً إبّان الاحتفال نفسه. ومع ذلك، تختلف الممارسة اللّيترجيّة بالنّسبة إلى معموديّة الأطفال. ففي طقس كنيسة المشرق الأشوريّة، ووفقًا للممارسة الشّرقيّة، تبدأ تنشئة الأطفال بالمعموديّة، والّتي تحصل مباشرة إبّان الاحتفال اللّيترجيّ بعلامة (*shumlaya*) الميرون المقدّس، وتكتمل بتقبُّل الإفخارستيّا. أمّا في الطّقس اللّاتينيّ، فتتبع معموديّة الأطفال عادةً سنوات من التّعليم الدّينيّ، قبل أن تكتمل فيما بعد بالتّثبيت والإفخارستيّا[١١]. تفترض معموديّة الأطفال، كما تُمارَس في التّقليدَيْن، أن يسهر الأهل والعرّابون والعرّابات والجماعة المسيحيّة على ضمان تنشئة الأطفال في الإيمان المسيحيّ وفي الحياة المسيحيّة.

---

[١٠] تختلف التّقاليد بالنّسبة إلى الخادم العاديّ للمسح النّهائيّ أو التّثبيت. في الطّقس اللّاتينيّ، الأسقف هو الذي يمنح سرّ التّثبيت. وفي طقس كنيسة المشرق الأشوريّة، بالاتّفاق مع الممارسات الشّرقيّة، يمنح الكاهن الذي يُعمّد المسحة الأخيرة في الاحتفال اللّيترجيّ عينه.

[١١] في معظم التّقاليد الشّرقيّة، يتلقّى الأطفال المولودون حديثًا القربان مباشرة مع المعموديّة والميرون في الاحتفال نفسه. وفي كنيسة المشرق الأشوريّة، يتناول الأطفال القربان المقدّس بعد الحصول على سرّ التّثبيت بعد المعموديّة. يغمس الكاهن إصبع يده اليمنى في الكأس التي تحتوي على جُزيئيّات جسد المسيح ويضعها في فَمِ الطّفل.

يندمج المسيحيّ في المسيح ويُثبَّت بختْم الرّوح القدس مرّة واحدة نهائيّة. تُضفي المعموديّة والمسحة على المؤمنين طابعًا روحيًّا لا يُمحى.

٤. القربان المقدّس أو الإفخارستيّا المقدّسة

كانت الكنيسة، منذ البداية، أمينة لوصيّة الرّبّ: «اِفعلوا هذا لذكري» (١ قو ١١، ٢٣-٢٥). وفيما يتعلّق بالجماعات المسيحيّة الأولى، فقد كُتِب أنّهم: «كانوا يواظبون على تعليم الرّسل والمشاركة وكَسْرِ الخبز والصّلوات» (أع ٢، ٤٢)[١٢]. وبتعبير أدقّ، كان المسيحيّون يجتمعون، نهار الأحد، يوم الرّب، للاحتفال بقصّة آلامه وقيامته، وليشتركوا في جسده ودمه ليُصبحوا أعضاء أحياء في جسد المسيح الّذي هو الكنيسة. وهكذا بات هذا الاحتفال محور حياة الكنيسة[١٣].

في لاهوت الأسرار والإفخارستيّا لكنيسة المشرق الأشوريّة، يَحظى مفهوم «مدابرَنيتا» (*Mdabranuta*) بأهمِيَّة خاصّة. فوفقًا للمفردات السّريانيّة، يُغطّي مصطلح «مدابرَنيتا» مُجمَل السّرّ الخلاصيّ وتدبير الله الإلهيّ من أجل خلق الإنسانيّة وخلاصها. وبما أنّ «المدابرَنيتا» تستمدّ مصدرها من مُخطّط الله الأزليّ، فهي تجد دافعها الأوّل في العهد القديم وتبلغ ذروتها مع مجيء المسيح بين النّاس. هذا الدّافع الأوّل هو تدبير العهد الجديد: يبدأ مع التّجسُّد، ويبلغ ذروته مع موت يسوع المسيح وقيامته، ويكتمل بنزول الرّوح القدس. إنّ دافع الخلاص في المستقبل، الذي بدأ مع

---

[١٢] هذا ما جاء في البيشيتا: «ويثبتون دومًا في عقيدة الرّسل، ويشتركون في الصّلاة ويكسرون الخبز الإفخارستيّ».

[١٣] أُنظُرْ: أعمال الرّسل، ٢: ٤٢-٤٦؛ ٧، ١١.

العنصرة، ينتظر مجيء الرّب الثّاني وتمجيد الكنيسة وتجديد الخليقة. يُحتفَل بسرّ الخلاص «مدابرَنيتا» ويُحتفى بذكراه طيلة السّنة اللّيترجيّة وفي ليترجيّا السّاعات وفي الأسرار. ومع ذلك، إنّ الاحتفال الأكثر وضوحًا والأكثر اكتمالًا إنّما يحدث إبّان الاحتفال بالقربان المقدّس أو الإفخارستيّا. وخلال الإفخارستيّا، نستحضر الوضع البشريّ قبل التّجسُّد، ونُقرّ بحاجة البشريّة إلى تدبير الله الخلاصيّ، ونُصلّي من أجل الغفران. ويُعبّر عن الامتنان بوفرة النّعمة الّتي يمنحها العهد القديم وبتجسُّد وموت يسوع المسيح وقيامته بحلول الرّوح القدس، ويُصار إلى تعداد البركات والمنافع الكثيرة الّتي يتمّ الحصول عليها بِفِعْل تدبير الخلاص. على هذا النّحو، يُختَصر سرّ الخلاص كلّه أو «المدابرَنيتا»، ويُحتَفى به ونتناوله بامتنان في كلّ احتفال إفخارستيّ. ولو أنّ هذا الاكتمال أكثر وضوحًا وأكثر انتشارًا في التّقليد الإفخارستيّ السّريانيّ، فهو أيضًا سِمَة مميّزة لجميع التّقاليد الإفخارستيّة الكاثوليكيّة. وفي كلا التّقليدَين، يُحتفل بسرّ الخلاص وتُحيا ذكراه بامتنان في كلّ احتفال إفخارستيّ.

يعكس هذا التّقليد إيمانهم الإفخارستيّ المشترك، لأنّ البنية الأساسيّة هي نفسها الّتي تُميّز الاحتفالات الإفخارستيّة في تقليد الكنيسة الكاثوليكيّة وتقليد كنيسة المشرق الأشوريّة: تجمع الجماعة المحلّيّة الّتي يرأسها الأسقف أو الكاهن، ليترجيّا الكلمة الّتي تتضمّن قراءات من العهدَيْن القديم والجديد، وابتهالات المؤمنين، وتقدمة القرابين، ورفع القرابين (الأنافور) أو صلاة الإفخارستيّا، وكَسْر الخبز والشّركة في جسد المسيح ودمه، ومن ثمّ تتبعها صلوات الشّكر.

يقود رفع القرابين أو صلاة الإفخارستيّا إلى قلب الاحتفال وقمّته، الذي هو تقبُّل «خبز السّماء» وَ«كأس الخلاص». باستدعاء الرّوح القدس والاحتفال بما

فعله مخلّصنا وما قاله في العشاء الأخير[١٤]، تتحوّل عناصر الخبز والخمر، بواسطة سرّ الإفخارستيّا، إلى جسد مخلّصنا ودمه. لذلك، إنّ نزول الرّوح القدس وكلمات مخلّصنا هي عناصر ضروريّة لرفع القرابين أو للصّلاة الإفخارستيّة. يُشكّل الحضور الفعليّ الحقيقيّ للمسيح، في الخبز والخمر، جزءًا من إيماننا ومن عبادتنا المشتركة.

تطوّرت تقاليد ليترجيّة مختلفة في كلّ من الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة الشّرق الأشوريّة للاحتفال بالقربان أو الإفخارستيّا المقدّسة، بالرّغم من أنّنا نشترك في الإيمان الإفخارستيّ عينه. هذه الأطر والتّقاليد اللّيترجيّة المختلفة هي عنصر مُكوّن لهويّاتنا الكنسيّة المتبادلة الّتي تقود إلى الإغناء المتبادل. لذا، والحالة هذه، ينبغي لنا الحفاظ بأمانة على كلّ تقليد من هذه التّقاليد وتطويره بطريقة عضويّة. في هذا السّياق، إنّ رَفْعَ القرابين (الأنافور) المستخدَم تقليديًّا في إرثنا اللّيترجيّ، ولا سيّما ذاك الذي يعود إلى العصور القديمة الجليلة، يستحقّ أن ننظر إليه بأكبر قدر من الاحترام.

الخمير المقدّس

مارست الكنيسة الأولى، بطرق مختلفة، تقسيم الخبز الإفخارستيّ المرتبط بتوزيع هذه الأجزاء بين الكنائس أو المُحتفِلين في منطقة محدّدة. مثل هذه الممارسات كانت موجودة سواء في الشّرق المسيحيّ أو في الغرب المسيحيّ. من هذه الممارسات ممارسةٌ تُسمّى «الخمير» (*fermentum*) تقوم على توزيع الأسقف أجزاء صغيرة من

---

[١٤] من بين الأنافورات في كنيسة المشرق، يحتلّ أنافور أدّاي وماري موقعًا خاصًّا ومرموقًا، إذ هو الأقدم في هذا التّقليد. وقد أقرّ مَجمع العقيدة للإيمان قانونيّة الإفخارستيّا الّتي تحتفل بأنافور أدّاي وماري في ١٧ كانون الثّاني سنة ٢٠٠١، وصدّق عليها البابا يوحنّا بولس الثّاني. راجِعْ:

Guidelines for Admission to the Eucharist between the Chaldean Church and the Assyrian Church of the East; and Ammissione all'Eucaristia in situazioni di necessità pastorale, in: *L'Osservatore Romano*, Friday 26 October 2001, p. 7–8.

الإفخارستيّا على كهنة المناطق المجاورة. وكان على كلّ كاهن أن يغمس هذا الجُزء في كأس احتفاله الإفخارستيّ، من هنا جاءت كلمة «خمير» (*fermentum*). وهناك ممارسات مماثلة اختفت تدريجيًّا في الكنيسة الغربيّة وفي معظم الكنائس الشّرقيّة.

ومع ذلك، حافظت كنيسة المشرق الأشوريّة بأمانة على الممارسة الإفخارستيّة هذه المسمّاة الخمير المقدّس[١٥] (*Malka*). ففي كلّ سنة، في يوم الخميس المقدّس، يُجدّد كاهن الرّعيّة المحلِّيَّة الخمير المقدّس بخَلْطِ الخمير القديم مع الخمير الجديد. هذا الخمير يجب استخدامه لاحقًا خلال السّنة في الخبز الإفخارستيّ الذي يحضّره الكاهن قبل الاحتفال الإفخارستيّ. وفي تقليد الأسرار لكنيسة المشرق الأشوريّة، هذا الخمير المقدّس أساسيّ، إذ يحتلّ مكانة مرموقةً في عمليّة التّكريس الشّاملة. وعلاوة على ذلك، الخمير المقدّس هو علامة حسِّيّة للاستمراريّة التّاريخيّة بين كلّ احتفال إفخارستيّ (أو القربان) والعشاء الأخير (راجِعْ: متّى ٢٦، ٢٦).

تكريس المذبح

تكنّ الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة، وفقًا لتقليدهما، احترامًا فائقًا للمذبح الذي تجتمع حوله الجماعة، والذي تُقام عليه التّقادم الإفخارستيّة، والذي بوساطته يحصل كلّ مؤمن على جسد المسيح ودمه. وتُقام ليترجيا احتفاليّة لتكريس المذبح في الطّقسَيْن اللّيترجيَّيْن. يبدأ الأسقف هذا التّكريس باستدعاء الرّوح القدس،

[١٥] صنّف مار عبديشو الّذي من نصيبين الخمير المقدّس، بفعل أصله السّامي وأهمِّيّته اللّاهوتيّة ومكانته اللّيترجيّة، ضمن الأسرار المقدّسة أو «الرّازيه». وما برحت الكنيسة الآشوريّة تُمارس طقوس الخمير المقدّس، إلّا أنّ الكنيسة الكلدانيّة أو كنيسة مالابار قد تخلّت عنه.

ومن ثمّ يدهن المذبح بالميرون المقدَّس[١٦]. ومع ذلك، لا يُعَدّ تكريس المذبح سرًّا من أسرار الكنيسة في التّقليدَيْن الكاثوليكيّ والأشوريّ.

٥. الحياة المسيحيّة

الزّواج المسيحيّ

يكتسب الزّواج أهمّيّة ومعنى خاصَّيْن، إذ يُعبّر في آنٍ واحد عن نظام الخلق ونظام الخلاص، أي مخطّط الله الأزليّ للخليقة (راجِعْ: تك ٢) وخلاص البشريّة الّذي يبلغ ذروته في يسوع المسيح (راجِعْ: أفسس ٥، ٣٢). إنّه ميثاق يُبرِم من خلاله الرّجل والمرأة بينهما اتّحادًا كاملًا لمدى الحياة، الَّذي، بِحُكم طابعه الطّبيعيّ، قد نُظِّم لخير الزّوجَيْن والأجيال وتربية الأطفال. هذه الشّركة الحميمة للحياة والحبّ أسّسها الخالق ووهبها قوانينه الخاصّة. ويُعَدّ نموذج الزّواج المسيحيّ ميثاقًا بين المسيح والكنيسة، كما أكّده بولس الرّسول بوضوح: «أيّها الرّجال، أحبّوا نساءَكم كما أحبّ المسيحُ الكنيسةَ وجادَ بنفسه من أجلها ليُقدّسَها» (أفسُس ٥، ٢٥-٢٥). باحتفال الكنيسة، ينال الزّوجان النّعمة الّتي تُمكّنهما في حبّهما الزّوجيّ من التّعبير عن أمانة

[١٦] بفِعْل أهمّيّته الكنسيّة واللّيترجيّة، صنّفَ البطريرك مار تيموثاوس الثّاني تكريسَ المذبح في عداد «الرّازيه» أو «الأسرار المقدّسة». فبحسب التّنظيم اللّيترجيّ، إنّ تكريس المذبح هو في الوقت عينه تكريسٌ للكنيسة كلّها وللمعبَد الذي يوجد فيه الهيكل. وفي الممارسة اللّيترجيّة الحاليّة للكنيسة الأشوريّة، بحسب لائحة مار عبديشو، تكريسُ الهيكل هو طقس ليترجيّ لا يُعَدّ سرًّا. وكذلك في الطّقس الكاثوليكيّ، ينتمي تكريس الهيكل إلى أشباه الأسرار.

الله لعهده مع الشّعب، وعن أمانة المسيح لكنيسته، وعن الشّهادة لهذه الأمانة الإلهيّة. وهكذا يكتسب الزّواج المسيحيّ طابعه السّرّيّ[١٧].

الطّرفان الملتزمان بالزّواج المسيحيّ هما رجل وامرأة معمَّدان، لا يمنعهما أيّ عامل من إبرام عقد الزّواج، ويُعبّران بحرّيَّة عن رضاهما. يتقبّل خادم الكنيسة رضاهما[١٨] ويُباركهما باسم الكنيسة[١٩]. يصلّي الخادم بخاصّة للرّوح القدس، إذ هو مصدرٌ سهل المنال لحبّهما وأمانتهما، ومن ثمّ يُبارك اتّحادهما ويختمهما. كما يُعبّر حضور خادم الكنيسة والشّهود بشكل حسّيّ عن أنّ الزّواج المسيحيّ واقع كنسيّ.

تتجلّى وحدة الزّواج، الّتي يعترف بها ربّنا بوضوح، في الكرامة الشّخصيّة المتساوية الّتي يجب منحها للزّوج والزّوجة في المودّة المتبادلة والكاملة. وقد عُبِّر عن عدم فسْخ الزّواج بجلاءٍ في كلمات الرّبّ هذه: «فلا يكونان اثنَيْن بعد ذلك، بل جسدٌ واحد. فما جمعه الله لا يُفرّقُه إنسان» (متّى ١٩، ٦).

---

[١٧] لا يظهر الزّواج في لائحة «الرّازيه» الّتي وضَعَها مار عبديشو. إنّ لائحته هي انعكاس لمرحلة سابقة في تطوّر اللّائحة الحاليّة للأسرار السّبعة، وهي تسبق بعض التّغييرات اللّاحقة، المشتركة بين التّقليد اليونانيّ واللّاتينيّ. ومع ذلك، إنّ النّصوص اللّيترجيّة المستخدَمة في تقليد كنيسة المشرق الأشوريّة للاحتفال بالزّواج، كما النّصوص العقائديّة الّتي تشرح معناها، تُقدّم العناصر نفسها الّتي تُعَدّ مؤسِّسة لطابعها السّرّيّ في التّقليد الكاثوليكيّ.

[١٨] وفيما يتعلّق بالزّيجات بين المسيحيّين الذين ينتمون إلى جماعات مسيحيّة مختلفة أو الزّيجات بين المسيحيّين وغير المسيحيّين، يجب علينا أن نستند إلى القواعد القانونيّة السّائدة في الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة. ففي الكنيسة الكاثوليكيّة، يحقّ للأسقف وحده أن يَسمح بالزّواج بين كاثوليكيّ وغير مسيحيّ؛ أمّا في الكنيسة المشرقيّة الأشوريّة، فلا يُمكن السّماح بأيّ إذن من هذا النّوع.

[١٩] في الكنيسة اللّاتينيّة، تشير التّقديرات إلى أنّ الأزواج، الّذين هم خدّام نعمة المسيح، يُعطون سرّ الزّواج بعضهم لبعض، ويُعبّرون عن موافقتهم أمام الكنيسة. وفي كنيسة المشرق الأشوريّة، وفقًا للتّقليد الشّرقيّ، يفترض الطّقس اللّيترجيّ للزّواج حضور كاهنٍ، وكأس البركة والصّليب كوسطاء لصحّة الطّقس.

بالاشتراك في حبّ الله الخالق، يُكرَّسُ الزّواج للتَّوالد وتربية الأطفال (تك ١: ٢٧-٢٨). وللأُسَر المؤمنة أهمِيَّة أوّليَّة، كمراكز للإيمان الحيّ والمشِعّ، في عصرنا وعالمنا، الذي غالبًا ما يكون غريبًا وحتّى معاديًا للإيمان. وفي داخل الأسرة، يُضحي الأهلُ، بالكلمة والمثال الصّالح، أوّلَ مبشّرَيْن بإيمانهم لأطفالهم. فينبغي لهم أن يُسنِدوا أطفالهم في الدّعوة الخاصّة لكلّ واحد منهم، وأن يُشجّعوا باهتمام خاصّ كلّ دعوة رهبانيّة. يمكن للأزواج، الّذين لا يستطيعون إنجاب الأطفال، أن يتمتّعوا بحياة زوجيّة تحمل معنًى، سواء أكان من النّاحية الإنسانيّة أم المسيحيّة. ويُمكن لزواجهما أن يُشعّ بثمار المحبّة والتّضحية، سواء أكان بينهم أم تجاه الآخرين.

الحياة الرّهبانيّة

منذ القرون الأولى، تطوّرت الحياة الرّهبانيّة في تقليد الكنيسة الكاثوليكيّة وتقليد كنيسة المشرق الأشوريّة كموهبة خاصّة ونمط شهادةٍ مسيحيّة. فعُدَّت الدّعوة إلى الحياة الرّهبانيّة هبةً خاصّة من الرّوح القدس لتقديس الكنيسة[٢٠] وإثرائها. وقد رُبِطَت العديد من المسائل الرّوحيّة والكنسيّة بطريقة مميّزة بالحياة الرّهبانيّة، مثل الحياة في الصّحراء (راجِعْ: مرقس ١: ١٢-١٣)، والتّقليد الرّاديكاليّ ليسوع المسيح (راجِعْ: مرقس ١٠: ١٧-٣١) واتّباع مثال الجماعات المسيحيّة الأولى (أع ٢: ٤٢-٤٧).

وقد تطوّرت أشكال مختلفة من الحياة الرّهبانيّة في كلا التّقليدَيْن. ففي الكنيسة الكاثوليكيّة، أسهمت فترات التّأسيس والإصلاح المتواترة في التّجدُّد الباطنيّ وتنويع

[٢٠] إنّ القبول اللّيترجيّ للحياة الرّهبانيّة قد صنّفه البطريرك مار تيموثاوس الثّاني بين عداد «الرّازيه» أو «الأسرار المقدّسة». وفي الممارسة اللّيترجيّة الحاليّة لكنيسة المشرق الأشوريّة، بحسب طقس «الرّازيه» أو «الأسرار المقدّسة» لمار عبديشو، فإنّ القبول للحياة الرّهبانيّة في الطّقس اللّيترجيّ لا يُعَدّ سرًّا. وكذلك الأمر بالنّسبة إلى الكنيسة الكاثوليكيّة، إذ يُعدُّ تكريس العذارى ورتبة النّذورات الرّهبانيّة من بين أشباه الأسرار.

الحياة الرّهبانيّة. أمّا في كنيسة المشرق الأشوريّة، فانتشرت الحياة الرّهبانيّة في أواخر القرن الرّابع، وازدهرت لعدّة قرون[٢١]. إلّا أنّها شهِدَت، في أواخر القرن الرّابع عشر، انحطاطًا سريعًا، واختفَتْ تمامًا تقريبًا، ويرجع ذلك بشكل رئيسيّ إلى الظّروف الاجتماعيّة والسّياسيّة المأساويّة[٢٢].

٦. المصالحة، مسحة المرضى والجنازة

المصالحة

جاء في الكتاب المقدّس أنّ قلب الله ليس مثل قلب النّاس، وأنّ الله لا يُحبّ أن يهدم (راجِعْ: هوشع ١١، ٦-١١). الله لا يريد موت الشّرّير، بل عليه أن يبتعد عن الطّرُق السّيّئة وأن يعيش (راجِعْ: حزقيال ١٨، ٢٣). يسوع هو الممثّل الكامل لرحمة الله، كما أكّد ذلك نفسه: «ليس الأصحّاء بمحتاجين إلى طبيب، بل المرضى. ما جِئتُ لأَدعوَ الأبرار، بل الخاطئين إلى التّوبة» (لوقا ٥، ٣٢). وفي نهاية المطاف، بَذَلَ المسيح حياته وسكب دمه من أجل مغفرة الخطايا (راجِعْ: متّى ٢٦، ٢٨). وفي شركة مع رسالته، أعطى المسيح الرُّسلَ وخلفاءَهم القدرة على مغفرة الخطايا (راجِعْ: متّى ١٦، ١٩؛ متّى ١٨، ١٨؛ يو ٢٠، ٢٢). بفعل هذا التّفويض وهذه

---

[٢١] منذ القدم، لم تكن تعرف كنيسة المشرق الأشوريّة إلّا نوعًا واحدًا من الحياة الرّهبانيّة، عُرِفَ باسم «البناي/البنات قياما» أو «أبناء وبنات العهد». كان يفترض هذا النّمط القديم من الحياة الرّهبانيّة أن يعيش الرّجال أو النّساء حياة مكرّسة في منزلهم بين جماعة المؤمنيّن، وهو نمط يسبق الحياة الرّهبانيّة الّتي أسّسها القدّيس أنطونيوس في مصر، وقد مارسه كلّ من القدّيس أفرام وأفراهات الحكيم الفارسيّ.

[٢٢] هناك محاولات، في السّنوات الأخيرة، لإحياء الحياة الرّهبانيّة في كنيسة المشرق الأشوريّة في العراق والهند والولايات المتّحدة الأمريكيّة.

السُّلطة، يُمكن غفران الخطايا عن طريق خادم الكنيسة، حتّى بعد المعموديّة. وقد أُوكلت خدمة المصالحة إلى الأساقفة والكهنة، فوُهبوا القدرة على الحلّ من الخطايا من خلال عمل السّرّ والحلّ والمصالحة.

مَنْحُ سرّ المصالحة حاضر في كلٍّ من التّقليد اللّيترجيّ للكنيسة الكاثوليكيّة وتقليد كنيسة المشرق الأشوريّة. تتجلّى العناصر المكوّنة لهذه المصالحة في النّدم والاعتراف والتّكفير عن الذنب والحلّة والتّوبة (راجِعْ: متّى ٣، ٨). وهناك ممارسات مختلفة قد تطوّرت في التّقليدَيْن اللّيترجيَّيْن لمنْح سرّ المصالحة، وتُعطى الأولويّة إمّا للطابع الفرديّ وإمّا للطّابع الجماعيّ للمصالحة. إنّ الاعتراف الجماعيّ بالخطايا وإعلان المغفرة بواسطة خادم الكنيسة، إبّان الاحتفال بالقربان المقدّس أو بالإفخارستيّا المقدّسة، يحتفظان بأهمِّيَّة خاصّة بالتّوبة في التّقليدَيْن اللّيترجيَّيْن. في الواقع، تستمدّ التّوبة والمصالحة المسيحيّتان مصدرهما وغذاءهما من الإفخارستيّا. إنّ ممارسة الاعتراف الفرديّ والحلّة موجودة في الوقت عينه في الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة، أقلّه بالنّسبة إلى الخطايا الجسيمة. وقد شجّعت الكنيسة الكاثوليكيّة الممارسة الفرديّة للتوبة، كما شجّعت الحضور المُنتظِم لسرّ الاعتراف الشّخصيّ. ومع أنّ ممارسة التّوبة في كنيسة المشرق الأشوريّة أقلّ انتظامًا وأقلّ تواترًا، إلّا أنّها تُمارِسُ أيضًا الاعتراف الفرديّ الذي يستطيع الخطأة أن يطلبوه في أيّ وقت[٢٣].

مسحة المرضى

المرض والألم جزآن من الواقع الإنسانيّ. يرتبط المرض في الكتب المقدّسة بالخطيئة الإنسانيّة والثّقة بالله. فمن جهة، ترتبط جميع الآلام على الأرض بخطيئة آدم (راجِعْ:

[٢٣] مارست الكنيسة الكلدانيّة وكنيسة الملنكار السّريانيّة الاعتراف الفرديّ باطّراد، فنسّقتا ليترجيّاتهما مع التّقليد اللّاتينيّ.

تك ٣، ١٦-١٩؛ رو ٥)، ومن جهة أخرى، يشتكي المؤمنون من أمراضهم في حضرة الله، سيّد الحياة والموت، ويلتمسون منه الشّفاء. ويُوصى بالصّلاة في فترة المرض من أجل الشّفاء، وبالتّوبة عن الخطايا المرتكَبة (راجِعْ: بن سيراخ ٣٨، ٩)[٢٤]. ما يثير الدّهشة أنّ يسوع المسيح أعطى أولويّة الشّفاء للخطأة والمرضى، فأضحت رحمته والشّفاء الذي جاء به لجميع أنواع العاهات علامةً ساطعةً على أنّ ملكوت الله كان قريبًا (راجِعْ: متّى ١١، ١-٥). وخلال خدمته، أرسل يسوع تلاميذه في مهمّة شفاء المرضى (راجِعْ: لو ١٠، ٩). وبعد تمجيده، كلّف الرّسل بمتابعة خدمة الشّفاء هذه: «اِذهبوا في العالم كلّه، وأعلِنوا البشارة إلى الخلْق أجمعين. فمن آمَنَ واعتمَدَ يَخْلُص... فباسمي يضعون أيديَهم على المرضى فيتعافَون» (مر ١٦: ١٥-١٨؛ راجِعْ: يعقوب ٥: ١٤-١٥).

اتّخذت التّقاليد اللّيترجيّة للكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة التّدابير اللّازمة في شأن مسحة المرضى. هذه المسحة يمنحها خادم مرسوم، ولا سيّما الأسقف أو الكاهن. وتُنسَب فعاليّة المسحة إلى قوّة يسوع المسيح وحضور الرّوح القدس. لا يُشار إلى المسحة بالصّلوات المناسبة فحسب، بل بحقيقة أنّ الزّيت يجب أن يُبارِكه خادم مرسوم برَسْم إشارة الصّليب. هذه العناصر تُعبّر عن الطّابَع السّرّيّ لطقس مسحة المرضى[٢٥].

---

[٢٤] حضور الله الخلاصيّ ليس حضورًا جزئيًّا، بل كامل. فهو يميل إلى استعادة حياة الإنسان كلّما ضعُفت أو جُرحت. ويُعَدّ الشّفاء من الشَّرّ والخطيئة، في الكتاب المقدّس، أهمّ شفاء يُمكن أن يناله الإنسان من الله (راجِعْ: متّى ٩: ١-٨؛ مر ٢: ١-١٢؛ لو ٥: ١٧-٢٦).

[٢٥] لا تظهر مسحة المرضى في لائحة «الرّازيه» الّتي أعدّها مار عبديشو (راجِع الحاشية ٥). ومع ذلك، في التّقليد الأشوريّ، تعرض النّصوص اللّيترجيّة المستخدمة للاحتفال بمسحة المرضى، كما النّصوص العقائديّة الّتي تُفسّر معناها، العناصر نفسها الّتي تُعَدّ مكوّنة لطابعها السّرّيّ في التّقليد الكاثوليكيّ.

تأثير مسحة المرضى مُتعدِّد، حسبما أشارت الصّلوات اللّيترجيّة في الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة[٢٦]: شفاء الجسد والنّفس، تقديس الكنيسة وتحصين الأشخاص. وقد حدّد الرّسول القدّيس يعقوب في رسالته المفاعيل المتعدّدة لمسحة الشّفاء: «هل فيكم مريض؟ فلْيَدعُ شيوخ الكنيسة، ولْيُصلّوا عليه بعد أن يمسحوه بالزّيت باسم الرّبّ» (يعقوب ٥، ١٤-١٥).

الجنازة

تصلّي الجماعات المسيحيّة لأمواتها المحبوبين، وتصلّي إلى الله ليغفر خطاياهم ويستقبلهم برحمة وسخاء في ملكوته، ويتضرّعون إلى الله كي يقبلهم مع الصّدّيقين في وليمة الحَمَل، ويتذكّرونهم ويصلّون من أجل راحتهم ومن أجل فرحهم الأزليّ في أثناء الإفخارستيّا المقدّسة، ويعتبرون هذه الصّلوات أيضًا عَمَلَ شكرٍ لله وتذكُّرٍ للأحياء[٢٧].

---

[٢٦] راجِعْ: صلاة كنيسة المشرق هذه لتكريس الزّيت من أجل مَسْح المرضى: «أيّها الشّافي الحقيقيّ الذي يملأ كلامه كلّ خير، ساعِدْ واعتَنِ واشْفِ؛ أيّها السّيّد، لِتَسْكُنْ نعمتُكَ في هذا الزّيت ولْتَسْندنا وتَشْفِنا من كلّ أمراضنا، ولتخفِّفْ أوجاعنا وخلافاتنا ومِحننا، ولْتُصبِحْ دواء لجروحاتنا وتغسِلْ آلامنا، يا ليتنا نجد الدّواء لأمراضنا، الآن ودائمًا. آمين».

[٢٧] بناءً على معنى الجنازة اللّيترجيّ والرّوحيّ والرّاعويّ، صنّف البطريرك مار تيموثاوس الثّاني ليترجيّتها ضمن الأسرار المقدّسة (الرّازيه). ومع ذلك، ففي الممارسة اللّيترجيّة الحاليّة لكنيسة المشرق الأشوريّة، وفقًا للائحة الأسرار لمار عبديشو، الجنازة هي طقس ليترجيّ، وبالتّالي لا تُعَدّ سرًّا.

٧. استنتاجات

تأخذ حياة الأسرار وحياة اللّاهوت، بحكم طبيعتهما، أشكالًا متعدّدة، إذ يُشكّلان سعيًا إلى فهم سرّ الإيمان في الفئات الإنسانيّة وفي الاحتفاء بهذا الإيمان في أنماط خاصّة بكلّ ثقافة وكلّ أمّة. لقد تطوّر لاهوت الكنيسة الكاثوليكيّة وحياة الأسرار إجمالًا في إطار يونانيّ ورومانيّ. وفي شأن كنيسة المشرق الأشوريّة، تطوّرت حياة الأسرار في مناطق لم تحكمها الإمبراطوريّة الرّومانيّة على الإطلاق، سواء أكانت الإمبراطوريّة الرّومانيّة الغربيّة أم الإمبراطوريّة البيزنطيّة. فقد تطوّرت في سياق لاهوتيّ يغلب عليه الطّابع السّاميّ والسّريانيّ، القريب من جوّ الجماعات الرّسوليّة الأولى.

وإبّان قرون عديدة، لم تتمكّن كنيسة المشرق من التّواصل بطريقة طبيعيّة مع بقيّة المسيحيّة، المُنتشِرة في المنطقة اليونانيّة والرّومانيّة، بفعل الظّروف التّاريخيّة الجسيمة والمؤلمة في أغلب الأحيان. لم تؤثّر تطوّرات اللّاهوت وممارسة الأسرار اللّاحقة، الّتي تبنَّتْها تدريجيًّا المنطقة اليونانيّة والرّومانيّة، في كنيسة المشرق الأشوريّة، ذلك أنّها بقيت أمينة لأصولها الرّسوليّة الخاصّة، وحافظت على تراث الأسرار وطوّرته، إذ يرقى إلى الفترة الرّسوليّة. هذا التّراث يُشكّل مصدرًا فريدًا وشهادة للكنيسة جمعاء.

تؤكّد مقاربة حياة الأسرار الشّاملة إذًا أنّ الحياة المسيحيّة، سواء أكان في الكنيسة الكاثوليكيّة أم في كنيسة المشرق الأشوريّة، إنّما تُبنى على واقع سرّيّ واحد. وتشترك الكنيستان، إبّان الاحتفال بطقوس الأسرار وفقًا للتقاليد اللّيترجيّة والثّقافيّة المختلفة في الجوهر، الإيمان بالأسرار وحياة الأسرار نفسها. لذا، والحالة هذه، يُمكن اعتبار طقوس الأسرار تعابير مُكمِّلة لواقع إلهيّ واحد، ينشر غناه الرّائع في مختلف التّقاليد الكنسيّة. ومن الممكن تطبيق مبدأ الوحدة في التّنوُّع لا في صياغة العقيدة فحسب،

بل في الاحتفال بحياة الأسرار في الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة على حدّ سواء.

في الإعلان المسيحانيّ المشترك للعامّ ١٩٩٤، أعلنت الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة عن اتّحادهما «في الاعتراف بإيمان واحد بابن الله الذي صار إنسانًا كي يصير جميع النّاس أبناء الله بنعمته». لقد تمّ الحصول على هذا الإرث المشترك للإيمان وتأكيده وتعليمه وتثبيته وتوضيحه بواسطة الرّوح القدس في التّقليدَيْن، وبخاصّة عَبْرَ إرث الأسرار واللّيترجيّا. وبما أنّ الأسرار هي أسرار إيمان، كان بإمكان الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة أن تعلنا أنّهما متّحدتان في الاحتفال بهذا الإيمان «في ابن الله الذي صار إنسانًا كي يصبح النّاس أبناء الله بنعمته»، ولكي يُوزّع السّرّ الخلاصيّ نفسه، من خلال تقاليدها السّرّيَّة واللّيترجيّة.

ولكي تكون الشّركة كاملة وشاملة، لا تفترض الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة الشّرق الأشوريّة الإجماع في شأن مضمون الإيمان والاحتفال بالأسرار فحسب، بل تفترض أيضًا تأسيس الكنيسة، كما عُبِّر عنها في الإعلان المسيحانيّ سنة ١٩٩٤. بناءً على ذلك، يُؤسّس الإعلان المسيحانيّ المشترك لسنة ١٩٩٤، والإعلان المشترك عن الأسرار الحاليّ، المرحلة الثّالثة من حوارنا اللّاهوتيّ، أي بناء الكنيسة. حين تكتمل المرحلة الثّالثة، نُنهي الاتّفاق على الإيمان وحياة الأسرار وبناء الكنيسة، ومن ثمّ يُفتح الطّريق أمام الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة للاحتفال بالإفخارستيّا معًا، إذ هي علامة للشّركة الكنسيّة الّتي أُعيدَ ترميمها كلِّيًّا[٢٨].

[٢٨] «الإعلان المشترك عن حياة الأسرار»، وفَهْم الأسرار المشترك بين كنيستَيْنا لا يسمح بأن يشترك رجال الدّين في الاحتفال معًا بالأسرار والطّقوس.